



تجليات السخرية في الأدب الأردني رواية [عائدة إلى أثينا] نهوذا

Humor in Jordanian Literature "Returning to Athena" as a model

أ.د. جودي فارس البطاينة

جامعة جرش - المملكة الأردنية الهاشمية

zahia.souli@univ.alger2.dz

المفص:	معلومات المقال
ينهض هذا البحث بدراسة تجليات الفكاهة في الأدب الأردني من خلال دراسة . رواية [عائدة إلى أثينا] لعلم طهوب . إذ ترى الدراسة أن دور السخرية في هذه الرواية قد وجه باقي العناصر الأخرى داخل الرواية . وذلك من خلال إلباس هذه العناصر البعد الفكاهي الذي عاشه الروائي . في إطار رؤيته لدور : الأشفاص . والأماكن . والعلاقات التي بنيت بين هذه المعطيات الروائية . إذ تعتبر الدراسة هنا الفكاهة هو موضوع الرواية الذي تفضت عنه الصورة النهائية للعمل الروائي .	تاريخ الإرسال: 2021/11/01
	تاريخ القبول: 2022/04/24
	الكلمات المفتاحية: ✓ السخرية ✓ الأدب الأردني ✓ الرواية
Abstract :	Article info
The present research studies the role of humor in Jordanian literature with special reference to the novel (Returning to Athena) by Omar Tahboub. The study sees that the role of humor in this novel has directed the rest of the other elements within the novel, by adding a humor dimension lived by the novelist to these elements, as part of his vision of a role, the people, places, and relationships that were built among these fictional data. The study considers humor as the subject matter of the novel that resulted in the final image of the fictional act.	Received 01/11/2021
	Accepted 24/04/2022
	Keywords: ✓ Sarcasm ✓ Jordanian literature ✓ Novel

مدخل

زخرت المكتبة العربية بالفكاهة فهي موجودة في كتب الطرائف العربية القديمة، ومنها كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" لابن الجوزي و"البخلاء" للجاحظ عن قصص البخلاء من أهل مرو. ولعل كتب ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وكتاب الأمالي والنوادر لأبي علي القالي، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، والكشكول للعاملي، والمستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي، وكتاب "الفاشوش في حكم قراقوش" للأسعد بن مماتي أشهر الكتب الفكاهية في العصر الأيوبي، وفي عهد المماليك ظهر أكبر فكاهي في هذا العصر هو ابن سودون صاحب كتاب "نزهة النفوس ومضحك العبوس" وجميع هذه المؤلفات تزخر بمجموعات من الكتابة الفكاهية.

ثم هناك دائماً مهرجو السلاطين ونوادر الأدباء كأبي النّوّاس، وفي العصور الحديثة تبرز شخصية (جحا) الحاضر عبر ثقافات المنطقة كلها، فهو عربي وتركّي وبلغاري.. الخ.. وفي بلادنا، كما في غيرها من البلاد، يبرز أفراد يتميزون بخفة الظل، والفكاهة، وسرعة البديهة، والقدرة على تأليف النكات وسردها، والتقليد الذي يثير ضحك الآخرين، بل إن قرى وبلدات بعينها عرفت بقدرتها على توليد النكت والسخرية، سواء من نفسها أو على غيرها، يكفي فقط أن نذكر مرويّات النكت عن مدن الصريح والسلط والطفيلة والكرّك في الأردن (مناطق في الأردن (الصريح) منطقة تقع في شمال الأردن، والسلط منطقة تقع في وسط الأردن، والطفيلة والكرّك منطقة في جنوب الأردن).. وما يشبه النكات الجارية على الصعيد في مصر، والخليلي في فلسطين، والحمصي في سوريا والكردي في العراق والنيجر و(السود) في كوبا.. (انظر، أبو نضال، الساخرون، دار أزمنة، الأردن، 2013، ص 4-5).

مفهوم الفكاهة لغة واصطلاحاً

وردت كلمة الفكاهة في معجم لسان العرب بمعنى "الطيب النفس المزاح يقول الجوهري: الفكاهة بالفتح مصدر فكّه الرجل، بالكسر، فهو إذا كان طيب النفس مزاحاً، والفاكه المزاح وفي حديث أنس: كان النبي (ص) من أفكّه الناس مع صبي؛ الفاكه المزاح. وفي حديث زيد بن ثابت: أنه كان من أفكّه الناس إذا خلا مع أهله" (ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت (د.ت) مادة فكه). وجاءت في معجم الوسيط الفكاهة بمعنى "الفكاهة: المزاح والفكاهة ما يتمتع به من طُرْفِ الكلام. (مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، دار الدعوة، 1960، مادة فكه). "رجل فكه: ضحك من يكثر العابة والمزاح" (معلوف، لويس، المنجد في اللغة، منشورات، دار الشروق، 1992م، مادة فكه).

ومن الأدباء والباحثين المحدثين الذين عرفوا الفكاهة وربطوها بالسخرية كالمازني عندما عرف السخرية قال "هي العبارة عما يثيره المضحك، أو غير اللائق من الشعور بالتسلي أو التقرّز، على أن تكون الفكاهة عنصراً بارزاً والكلام مفرغ في قالب أدبي" (الهوال، حامد، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص 151).

وعلاقة السخرية بالفكاهة تتمثل في أنهما يلتقيان في المادة أو في الطريقة " فكل ما يضحك هو هزل، ولكنه ينقسم إلى قسمين أحدهما ليس له غرض أو هدف إلا الإضحاك، وهو الفكاهة، وله غرض هادف واضح وهو السخرية (طه، نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي، حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية، القاهرة، 1978م، ص 9-10).

وتختلف الفكاهة عن السخرية وفق كيوان في أن السخرية "أسلوب من أساليب النقد الموجه للأفراد والجماعات، يحارب عللهم، ويواجه تقصيرهم، ويقوم عيوبهم مهما كانت وسائله وغاياته. غير أن الفكاهة تختلف في ذلك بعض الاختلاف؛ فقد تحمل سخرية وضحكا،

وقد تكون للضحك دون سواه" (كيوان، عبد العاطي، الفكاهة والسخرية عند حافظ إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1997، ص17).

والفكاهة شيء موهوب غير مكتسب، فهي مركبة في طباع الهجائيين الممتازين، الذين لا تكاد أعينهم تقع على الشيء حتى تندفق ألوان من الصور الفكاهية والأخيلة الساخرة التي تسعفهم بها البديهة دون إعمال كبير للعقل أو كد للمخيلة، فالصورة تلمع في ذهن الهجاء الساخر الفطن، فتسغه بالنكتة الصائبة بمجرد وقوع عينه على موضوع هجائه أو تخيله (انظر، حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م، ص45).

وتختلف الفكاهة عن السخرية في أمور جوهرية، فالسخرية أو الهجاء الساخر تصدر عن تعمد وتصميم وعقل ذكي، في حين أن الفكاهة سمحة رحبة تصدر عن عفوية وبساطة ومحبة؛ فالسخرية تعمدية قصدية، والفكاهة عفوية، ذلك أن السخرية فيها خلق وصناعة وذكاء حاد، أما الفكاهة فقد نجدها في البسيط غير المتكلف وغير المقصود (انظر فريجة، أنيس، الفكاهة عند العرب، مكتبة بيروت، ط1، 1962، ص20).

ولا شك أن النفوس - بطبيعتها - أكثر تقبلاً لما يثير الضحك والسخرية؛ لتدفع به أسباب السأم الذي يصاحب التزام الجد والتوقر، وما يلقي على قسمات الوجوه من سحائب الكدر والعبوس، ومن التزمت الذي في كثير من الأحيان ما ينفر الجلساء، وينافي خفة الروح، ويصير الإنسان إلى حياة الوحدة، واعتزال الناس (انظر، المرجع نفسه، ص17-18).

ويقول أحد الباحثين: "الابتسام، والضحك، والمرح، والفكاهة، والمزاح، والدعابة، والهزل، والنكتة، والملحة، والنادرة، والكوميديا إن هي إلا ظواهر نفسية من فصيلة واحدة، وكلها إنما تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة التي سرعان ما تمل حياة الجد والصرامة والعبوس، فتلتبس في اللهو ترويحاً عن النفس، وتبحث في الفكاهة عن منفذ للتنفيس عن آلامها وتسعى عن طريق النكتة نحو التهرب من الواقع الذي كثيراً ما يثقل كاهلها (غبراهيم، زكريا، سيكولوجيا الفكاهة والضحك، مكتبة مصر، القاهرة، 1980 م، ص9).

وقد أشار كثير من الفلاسفة إلى أن الإنسان حيوانٌ يَضْحَكُ وَيُضْحَكُ معاً، معتمدين في ذلك على ما آتاه الله من ذكاء وفطنة وقدرات عقلية مقارنة مع بقية المخلوقات الحية الموجودة على وجه الأرض، وقد لاحظ هؤلاء الدارسون ارتباط السخرية والضحك بالاجتماعات وبعادات الشعوب، فلكل مجتمع طريقته في الضحك والفكاهة، وله أسلوبه خاص في التفكه، وانماطه في الضحك، لأن الإنسان الفكاهة هو ابن مجتمعه وبيئته، منه يستقي فكاهاته وضحكاته، وهذا يعكس حاجة الضحك - الإنسان الساخر الضاحك - إلى مشاركة الآخرين، إذ إن تذوق الضحك لا يكون في حالة الشعور بالعزلة؛ لأنه بحاجة إلى صدى (انظر، هنري، برغسون، الضحك - بحث في دلالة الضحك - ترجمة: سامي الدروبي، وعبد الله عبد الدائم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص16-17). وقد عبر الجاحظ عن هذا حينما قال: "فما ضحكك قط كضحكتي تلك الليلة، ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به محفوظ النقاشي لأتني على الضحك أو لقضي علي، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب" (الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، ط6، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج2، ص123-124).

وقد أعطى الفلاسفة وعلماء النفس اهتماماً كبيراً لدراسة ظاهرة الضحك وتحليلها، وربطها بالنواحي النفسية للإنسان، وقد ظهر ذلك من خلال أنها ظاهرة معقدة جداس؛ فهناك العديد من النظريات حول الضحك، وكلها نظريات متداخلة يعتمد بعضها على بعضها

الآخر بدرجة واضحة (انظر، عبد الحميد، شاكر، الفكاهة والضحك، (سلسلة عالم المعرفة)، مطابع السياسة، الكويت، كانون الثاني، 2003م، ص 121-122).

وعرفها بعض الباحثين بأنها: "فن إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صور تغري بمقاومتها، والرد عليها، وإيقاف مفعولها، من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر، أو يبدو في موقف يكون فيه هدفاً للانتقام" (عبد الحميد، شاكر، الفكاهة والضحك، ص 35)؛ لهذا، فإن الفكاهة عمل إنساني محظ، ولا يستطيعها إلا الإنسان لأنها تؤأم الضحك، ونستطيع القول إن الإنسان حيوان (ناطق)؛ لأن الفكاهة جماع النطق والضحك والعقل.

وقد لاحظ بعض الدارسين أن الضحك ناشئ في الأصل عن الشعور بالانتصار في معركة جسيمة بدائية، وحاولوا تقسيم الضحك إلى نوعين؛ ضحك إيجابي: وهو الضحك الذي ينبعث من غير هدف أو غرض الإضحاك، وهو ما يطلق عليه الفكاهة. وضحك سلبي: وهو الضحك المتولد من الشعور بنقص الآخر، أو ضعفه بمعنى أن له هدفاً وغرضاً معيناً، وهو الاحتقار والازدراء والسخرية. (انظر، غراب، سعيد أحمد، السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2009م، ص 21-22).

من هذا المنطلق، تبدو لنا صعوبة تحديد مصطلح الفكاهة تحديداً جامعاً مانعاً، والسبب في ذلك يعود إلى اختلاط مفهوم هذا المصطلح بمفاهيم ومصطلحات أخرى، مثل: الضحك، والتهكم، والهزاء، والكوميديا، والسخرية" (النويهي، محمد، ثقافة الناقد الأدبي، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969م، ص 332. وانظر، الخطيب، بشرى محمد علي، السخرية والتهكم في الشعر الأموي، مجلة الأستاذ، العدد (44)، سنة 2002م، تصدر عن كلية التربية والعلم، ابن رشد، جامعة بغداد، ص 301-334).

اجمع بعض النقاد على أن الفكاهة أحد أغراض الشعر وأحد الفنون الأدبية، مع أن موضوعه قد يكون ذا جوانب تتنافى مع النظرة الأخلاقية للأدب والفن عموماً، وما ذاك إلا لأن الفكاهة أحد وسائل التعبير الجميل حتى وإن كان ذا موضوع قبيح، فهو يصدر عن فكاهة ضاحكة من حيث تعبيره عن الخيال الخصب والقدرة المطلقة؛ "فالضحك الدائم والبكاء كلاهما إفراط وخروج عن الجدل إلى ما عدا، وما عدا الجد يلتقي بالضحك ولو في بعض الطريق" (شرف، عبد العزيز، أدبيات الأدب الفكاهي، مكتبة لبنان، بيروت، 1992م، ص 3).

ولأن الفكاهة تعتبر من الأمور "المحفوفة بالخرج، لم يكن من اليسير الخوض في أدب الفكاهة، فهو وإن كان موجوداً إلا أنه أقرب إلى الانزواء عن المتناول الثقافي العام، ذلك أن جزءاً من تراثنا يشجب الضحك ويعتبره منافياً للوفاء، رغم أن لكل أمة من الأمم، ولكل طبقة من طبقات المجتمع، مهما بلغت مكانتها، قسطها من النوادر والمرح والسخرية، يمثله أشخاص يبرزون في أدب الأمة ويخلدهم تراثها" (الحصري القيرواني، أبي اسحق، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق محمد العزازي، دار المكتبة العلمية، بيروت، 1971، ص 4).

أما عن خصائص أدب الفكاهة الخفة والطرفة، ويشترط في الفكاهي أن يكون صاحب ذكاع يجعله يبحث عن الحيلة ويتدبر الخطط وينسج خيوطها، ويمتاز بنظره الثاقب، وبموهبته الأصلية التي تضيف عليه خفة ولطفاً، فتأتي فكاهته بلغة غير مصطنعة، تفيض بالعدوبة" (محمد، سراج الدين، النوادر والطرائف والفكاهة في الشعر العربي، ج 6، موسوعة مبدعون، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 6).

ومن خصائص أدب النوادر الخفة، ويشترط في الفكاهي أن يكون صاحب ذكاء يجعله يبحث عن الحيلة ويتدبر الخطط وينسج خيوطها. ويمتاز بنظرة الثاقب وموهبته الأصلية التي تضفي عليه خفة ولطفاً، فتأتي فكاهته غير مصطنعة بالعدو، وترد الفكاهة على شكل قصة موجزة ساخرة، تقوم أحياناً كثيرة على أساس النقد وتتميز بالخروج عن المألوف، عادة ما تتميز الشخصيات في النوادر، أو الحكايات الهزلية المضحكة، بصفات معينة تلتصق بها، وتتطور أحداث النادرة الهزلية بسبب الصفات، وهي متعددة: البخل، الغباء الشديد، الذكاء الخارق، الشره والسرعة (الفكاهة في تراثنا).

الفكاهة في الأدب الأردني

حظي الأدب الأردني بدراسات متعددة الجوانب سواء ما كان منها متعلقاً بقضايا الموضوعية والفكرية أم بأبعاده الفنية، حيث تأثر بمسيرة الحياة الاجتماعية والانسانية تبعاً لمتغيرات الحياة السياسية والاجتماعية، والإنسانية، التي تعرض لها الوطن العربي من جهة وبمسيرة التطورات الفنية التي أثرت في مسار الأدب من جهة أخرى. ونظراً لهذه المعطيات يبدو أن موضوع (الفكاهة في الأدب) بوصفه جنساً أدبياً له علاقة بالواقع والحياة والإنسان، يتمتع بأهمية قصوى؛ ولكنها لم تحظ بالدراسة الكافية مع أنها كانت، وما زالت من أهم الأساليب الفنية البارزة في الخطاب الأدبي يحاول الأديب من خلالها تصوير البيئة العامة للمجتمع بتسليط الضوء على جميع مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، إذ أنها استجابة لحاجة المتلقي للترويح عن النفس بقدر ما هي رسالة توعوية هادفة تعبر عن بعد فني وذوق جمالي فكري، فقد برز مجموعة من الأدباء في الأردن ممن تميزوا بهذا المنحى فمن الروائيين غالب هلسا في روايته (الضحك)، وعامر طهوب في روايته (عائدة إلى أثينا) وجمعة حماد في روايته (بدوي في أوروبا)، ومن كتاب القصة القصيرة جدا سعود قبيلات في مجموعته (بعد خراب الحافلة)، ومهند العزب في مجموعته (ليلة اكتمال الذئب) وبسمة النصور في مجموعتها (مزيدا من الوحشة)؛ فقد جاء أدهم محملاً بالفكاهة ذات الدلالات التي تعمق جماليته.

وبما أن الرواية أصبحت ديواناً؛ لما تتميز به من انسيابية الشكل، ومرونته وطواعيته لمتغيرات البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المستمرة؛ ولقربها إلى عالم الإنسان بكل معاناته وأشواقه ومكوناته؛ فهي أقدر على تصوير تيار الحياة بأحداثها وشخصياتها ومكانها وزمانها وتاريخها، أرتأينا دراسة رواية وعائدة إلى أثينا لعامر طهوب (2020) (صدر له ثلاث روايات في أعوام متتالية (رواية في حضرة إبراهيم 2018، ورواية أوراق هارون 2019، وعائدة إلى أثينا 2020) جميعها صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر رواية عائدة إلى حيفا تقع في 408 صفحات من القطع المتوسط تجمع بين أثينا وفلسطين وبيروت). فلا بد من أسباب لانتشار الفكاهة في أدب بلد ما فالشائع أن الأردني كشر، وهذا ليس صحيحاً، وخاصة في سنوات الغلاء والقهر الأخيرة حين انفجر الأردنيون بالنكات وبالضحك، على طريقة شر البلية ما يضحك. وإذا ما لاحظت الأم أولادها يضحكون تسارع بالدعاء: الله يعيدنا شر هالضحك، وفي جميع الأحوال فليس هناك من جماعة بشرية تستغني عن النكتة فهي أكثر من ضرورة لإحداث نوع من التوازن النفسي في مواجهة ضغوطات الحياة وفي مقدمتها ضغوطات الحكام، حتى لو اضطرت للتنكيت على نفسها، ومن المعروف على سبيل المثال أن مصدر أكثر النكات على منطقة معينة هم أهل المنطقة أنفسهم، وهذا تمثل في (رواية عائدة إلى أثينا) لم تخلُ الرواية بالرغم من آلامها من حس الفكاهة، يخبر حسن ابنه أيمن عن قصص قرى ترشيحة والكابري في فلسطين قبل الهجرة "خليني أحكيك هالقصة اللي بتضحك كمان إسا ابن عمي علي السمرراوي بروح يزور عمي في المقبرة مرة من المرات وصل متأخر على مواعيد الزيارة المحددة، وصل زي ما تقول الساعة 11 قال له الحارس ليش تأخرت، عمرك شفت حدا يزور المقبرة متأخر قال له علي شو بدوي أسوي إذا كان أبي وأمي يبصحو متأخرين؟ ومرة من المرات تاه عن قبر أمه وأبوه قال له الحارس في أي صف هي؟ قال علي على حد علمي وصلت للبالوريا بس ما يعرف وين صارت إسا" (طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2020، ص 97-98).

ضحك وفكاهة في أقسى المواقف وأكثرها ألماً في حضرة الموت ويبدو أنهم كانوا يستخدمونها لتوصلهم لمرحلة استقرار نفسي الموت مقابل الحياة. فجميل أن نضحك حتى وإن ضحكنا من أنفسنا، "ذلك أن الضحك يزيد ضربات القلب وإفراز "الأدرينالين" الذي يعقبه استرخاء. ولقد أجمع كل الأخصائيين على أهمية الضحك في حياة الإنسان، فالنكتة تجعلك تبتسم رغم كل الظروف الصعبة المحيطة بك.. وهذا ما يؤكد الفيلسوف هنري برجسون فالنكتة "محاولة قهر القهر" (أبو نضال، نزيه، الساخرون، ص7).

يحتفي طهوب في رواية عائدة إلى أثينا بالمكان، وبحركة تطور الحياة داخل المجتمع الذي يسكنه والمكان الذي ينتمي إليه عبر فضائه، حيث تدور أحداث الرواية في أثينا، وبيروت، وفلسطين، مروراً بالأردن وأبو ظبي وإيطاليا منذ ما قبل النكبة عام ١٩٤٨م لغاية صفقة القرن 2020م، كما تدور الأحداث في مخيمات الشتات، حيث ولد لقمان ورلا.

صور طهوب المكان ورسم ملامح الأشخاص والأشياء، وقد كان حاضراً يتكلم باسم شخصياته الروائية، الحملة بالرؤى النقدية الجريئة، ذات السمة الفكرية الواضحة؛ بأسلوب فكاهي في كثير من الأحيان، لأن طهوب نشأ ناقداً وإعلامياً قبل أن يكون روائياً أفاد من تجربته الغنية الحافلة وثقافته الواسعة في الاطلاع على التاريخ والتجارب الحية عن قرب؛ لهذا جاء وعيه طاغياً على كتابته الروائية التي أتقن من خلالها استثمار الإعلام في مجال إيصال فكرة أو حوار، أو رؤية أو حساسية أو انتقاد جريء لواقعه الاجتماعي والسياسي ويعبر بجرأة عنها في تجليات موقف الأنا المبدعة وحياتها الطاغية على الرواية بقصدية تامة، مهما كانت محاولات التخفي والإيهام!!! مستخدماً تقنيات سردية متنوعة ذات طاقات أسلوبية متجددة، تؤكد براعته في تشكيل نصه الروائي، من خلال ابتداع لوحات، وتحريكها ضمن النسق الروائي الواحد، وهذه الخصيصة تعد من خصائص النصوص البديعة ذات التكثيف الإيحائي والموض الشعوري العميق المكسو بروح الفكاهة مع أن الكتابة الفكاهية "قطع نادرة في العالم كله، فثمة عدد محدود من الكتاب الفكاهيين، مثل المازني والتونسي ونجم والسعدني وأحمد مجحت.. فلماذا يبدو الأردن (كثير الفكاهة) عكس هذه القاعدة، خاصة وهو المتهم بأنه (أبو كشر)، و(وجهه ما بضحك للرغيف السخن) والذي تتردد في جنباته الغاضبة أقوال شائعة ترتقي إلى المسلمات من نوع: "الله ينجيننا من شر هالضحك"، و"الضحك يقلل الهيبة".

تعج رواية (عائدة إلى أثينا) بالفكاهة لأنها المتنفس الوحيد للمآسي، عندما تذكر ضياع الأوطان والتهجير، فلكل وطن حكاياه بحلوها ومرها يستذكر حسن قريته الكابري بفلسطين ويرد على تساؤلات ابنه ايمن "شو حكاية" "حروبة أبو غالب؟" "بك تضحكني. هاي سموها نسبة لخال أبو أبوي بس اللي كان يضحك بالفعل في الكابري، شاب يقولوا له "السينغا" بس هيك كان لقبه إسا هذا لما كان يموت حد في القرية، ويشيعوا جثمانه للمقبرة، ينام في النعش لما الناس ترجع من المقبرة علشان ما يرجع مشي، كانوا عقلاته ترللي على قد حاله. - طيما بخاف؟ إسا الموت رح ييجي للي بقعد في النعش" (طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، ص97).

لا يجد الناقد كبير عناء باكتشاف أن ظاهرة الكتابة الفكاهية في الروايات التاريخية تتسع وتزداد، وفق قاعدة شر البلية ما يضحك. فسعى الأدباء توثيق ذاكرة شعب بكل ما فيها من إنسانية الإنسان بكل طبقاتهم (الحمقى والعلماء، الأغنياء والفقراء، الكرمين والبخلاء، المتصوفة والمجون، الأغبياء والأذكياء، كبار وصغار، رجال ونساء) في كل نواحي الحياة بعد إن كان التوثيق، والصورة الغالبة للتهجير، وللحياة قبل الهجرة يسودها صورة التراجيدي فقط.

ففي رواية (عائدة إلى أثينا) في اللوحة الثامنة المعنونة ذاكرة (شَعَب) "انفتحت قريحة الحاج محمود علي حسين الذي بلغ عمره أكثر من تسعين عاماً ولا يخل من ذكر أي سر في حياته لتقدمه في السن يقول لقمان "استمعت إليه بشغف إلى تفاصيل لم أكن أعرفها عن

حياة الناس في بلادنا عن وادي الجلزون ووادي الشاغور المحاذي لقرية "البروة" شمال شعب" (طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، ص133).

عدا عن ضحكهم في حضرة الموت كانوا يضحكون من الأصول يجيب الحاج محمود على سؤال لقمان"

- أجدادك أصلا من شعب. سأل لقمان؟

*جدنا وشاح مسلم من قبيلة بني مسلم، حب وحده برمكية اسمها حسنة.

- شو يعني برمكية؟

* (ضحك) يعني أحسن شوية من النور" (المصدر نفسه، ص135).

من الأمور التي تبعث الفكاهة في أنفسهم أيضا تذكر وسرد لأيام المدرسة وما كانوا يقومون به يسأل لقمان الحاج محمود

"- شكلك كنت ورش وإنك صغير؟

- كنت رزيل بصراحة بقولك. عندنا أستاذ اسمه فايز السعدي أصله من سخنين كنت دائما أدخل له مشاكل، واتهمه عند المدير باتهامات

خطيرة، جنتته، كنت بعدها بدي أصلحه لأنو مستقبلي بين إيديه. رفض.

- شو التهمة اللي اتهمت فيها الأستاذ؟

- صعب أقولك إسا بعدين بيني وبينك

- شكلها من النوع الوسخ

- اقترب الحاج من لقمان وأمسك بيده وهمس في أذن لقمان لم يستغرق الامر أكثر من ثوان لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة حتى

سمعنا ضحكة مملجة" (طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، ص138).

يظهر طهوب الصراع القائم في قرية (شعب) الفلسطينية قبل النكبة 1948 والتهجير بأسلوب فكاهي بين العائلات يجيب الحاج

محمود:

- شو سبب الخلاف بين أعمامك وأخوالك؟

- ما بعرف، أعمامي يجرؤوني على أخوالي: روح سب أخوالك. أسب. أمني تزعل مني. تروح على أخوالي. يصيروا أعمامي يدعوا

عليهم، وأنا أدعي معهم. (المصدر السابق، ص139).

وتمتد الخلافات بين العائلات غير آبهين لحرمة المساجد ويبدو أن المآسي مع الأيام تتحول إلى طرف على ألسنة الناس، يسردها بشكل

فكاهي الحاج محمود فيقول:

"* مش بس هيك. القرية كلها تتمشكل مع بعضها. جامع قديم مهجور، بتعرف ليش مهجور. عيلة "كعكوش" ساكنة الحارة الغربية،

وبيت "الشيخ يزبك" ساكنين الحارة الشرقية، وبينهم عداوة على الزعامة. بيت كعكوش حكام البلد في بداية القرن الماضي، وبصلوا في

الجامع. طردوا بيت يزبك من القرية. في يوم من الأيام دخلوا بيت يزبك على الجامع وذبحوا كل بيت كعكوش عن بكرة أبيهم" (المصدر

السابق، ص139).

قاله لقمان "انت هيك بتعطي فكرة مش كويسة عن شعبنا قبل النكبة؟ رد عليه الحاج محمود شو (شو هالحكي الفاضي. حد قالك كنا

أنبياء؟ الأرض أرضنا كنا نحرثها ونفلاحها ونزرعها ونقطف ثمارها ونشخ فيها، كنا نعطف على المحتاج نصلي على أرضها ونسب الدين

مرات نتجوز فيها، ونخلف أولاد وبنات ونزني فيها ونسرق ونكرم الضيف ونشتري ونبيع زينا زي أي شعب في الدنيا نعط مرة ونضحك

مرة كنا ندعي ربنا يجيب الشتا، وبعدين نظفر من كثرته أحنا مش أنبياء بشر عندنا حكما ومعلمين وتيوس منا الصوفي وشيخ الجامع وفيما العرض ما بنخجل من تاريخنا بتعرف ليش؟ نحن شعب كل شي بدك موجود الصالح والطلح الكويس والردي ولو الحال غير هالحكي كان انمسخنا عن الوجود" (المصدر السابق، ص143).

إننا أمام روائي يسكن أمكنة وتسكنه أخرى يعبر عنها بقلم مطواع يمتلك السيطرة على لغته المكتنزة بالتناصات الأدبية والشعرية والنقدية والأساطير والصور يسطرها بعدسة فنان مبدع لاقتناص تفاصيل اللحظة، يكتب بلغة معتقة بجنين الرّوح إلى اكتشاف خفايا أسرار الطبيعة والحياة والمجتمع، يحول الخيال إلى واقع عبر لغة متمردة تحمل بين طياتها رؤاه وأمانيه وتطلعاته، انقاداً لأمانى مقموعة خلال مراحل انكسارات عمره عبر محطاته المتشظية من بؤرة اشتعالات المكان، فتتقل من مكان إلى آخر، بحثاً عن وطن لا يسكنه فقط. وإنما وطن (أسكنه ويسكنني) وكما يقول طهوب عفوا لقمان في لوحته الثالثة (عكا تسكنني) (طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، ص60).

توج طهوب الإهداء "إلى أولادي حتى لا ينسوا فرح، هند، ومحمد" ما الذي عليهم ألا ينسوه يا طهوب؟ هل تريداهم "حراس للذاكرة" (المصدر نفسه، ص187) كلقمان في لوحته العاشرة؛ وسبب ذلك كما تقول لمايا "لما إسرائيل سرت الأرض، صار في خوف يسرقوا الذاكرة، واللهجة، والهوية، هذول ناس ما عندهن مصالحة مع إنسان المكان، ولا مع هويته وثقافته، سموا شارع في عكا باسم (هاغانة) بدك أكثر من هيك وقاحة" (كفر برعم) سموها (كفار برام) عم يشتغلوا تحوير وتزوير. علشان هيك ذاكرتنا لازم تفضل صاحية، وزى ما الأرض بتتورث، الذاكرة كمان بتتورث، واللهجة، والتراث، والهوية، وأسماء الشهداء) (المصدر نفسه ص222). وهي نفس وصية لقمان لمايا (كوني قوية مثل أمك امنحي القوة لولدك خليه يورثها لأولاده. هذا صراع طويل لازم نواصل العمل، ونفضل نحرس الذاكرة يا مايا. الذاكرة) (طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، ص182). وكما تقول رلا "نجاح الفلسطيني في الحفاظ على ذاكرته وإنسانيته جعل من إسرائيل حرامي فاشل" (المصدر نفسه ص321).

قسمت الرواية لثلاثة فصول تحوي بين طياتها عشرين لوحة تعتمد عتباتها على تاريخ المفردة وسحرها التراثي النفسي والفلسفي والميثولوجي ونبضها الضاح بالشعور، والخلق الشعري، وعصارة لما تضمنته تجاربه.

لم تخلو الرواية من سرد تابوهات فكاهية ولكنها من صلب الحياة التي يعيشها الأفراد ويبدو أن المآسي والتابوهات مع الأيام تصبح شيء عادي يقول شاهر عابد لرلا عندما استقبلها بعكا "بتعربي من يوم ما خبرتيني إنك جاية على عكا، وأنا بسترجع شريط ذكريات اليونان، ما بنسى لما سافرنا على (رودس أنا وكرم حداد وخالك بسام، طلعتنا من أثينا بباخرة إسمها "ليروس" ورجعنا بسفينة ثانية اسمها "كاليمنوس" الأولى فيها كازينو عبارة عن ماكينات، وربحنا فلوس طول الطريق لرودس وإحنا نلعب، ولما رجعنا اكتشفنا إنو الباخرة الثانية ما فيها صالة ألعاب طبعاً خالك بسام صار متدين في هذيك الأيام، يحمد الله إنو الباخرة ما فيها صالة كرم قال لي يومها: إحزر شو نفسي أعمل يا شاهر؟ نفسي أرمي بسام من فوق "الدك". ولما وصلنا جزيرة "كوس" قبل رودس، وقفنا على ظهر السفينة مع بنت يونانية كان شاب عربي يحكي معها كمان، وذكرت إنّا من "كوس" فقال لها الشاب: واووو لما سمع بالاسم، فالبتت سألتها إذا بيعرف "كوس" قال طبعاً. قلت له: زرتها قبل ذلك؟ قال نعم. أعادت عليه السؤال: وهل أحببت "كوس"؟ قال أنا أعشق "كوس". وبعد أن أصبح الشاب لوحده وابتعدت الفتاة عنا، قال له خالك بسام: هذه الجزيرة اللي انولد فيها أبقرات. مش كل "كوس" بيطلع عباقرة في "كوس" يخرج حمير زيك وانفجرنا في الضحك" (طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، ص259).

تجذبك عتبات فصول الرواية الثلاث، العتبة الأولى مقتبسة من نص لإميل حبيبي (ما أروع النهاية التي تعيدك إلى البداية) ولكن طهوب حذف ما التعجبية من نص حبيبي في روايته ليصبح اقتباسه (أروع النهاية التي تعيدك إلى البداية). والعتبة الثانية مقتبسة من نص لمحمود درويش (عكا أجمل المدن القديمة) والعتبة الثالثة مقتبسة من نص لغسان كنفاني (رحلة العودة إلى عكا أقل مشقة من الشوق إليها).

يلفت النظر سيمياء عنونت لوحاتها العشرين وتقسيماتها فقد ضم الفصل الأول سبع لوحات هي (1- موزيتا ومارتشيلو، 2- على قمة ليكافيتوس، 3- في اتجاه المعسكر، 4- صدى الصوت، 5- حُرش الصنوبر، 6- رسالة حب، 7- رقصة زيبكيلو) وضم الفصل الثاني سبع لوحات أيضا هي (8- ذاكرة شعب، 9- قَسَم الإخلاص، 10- حكاية ماريا، 11- الطريق إلى عكا، 12- شمس مايا، 13- الملائكة المتخفية، 14- في شارع الحمرا) بينما ضم الفصل الثالث ست لوحات فقط. سعادته مهما بلغت تبقى ناقصة دائما هناك شيء يسكنه ينقصه فوردات لقمان التي أهداها لماريا في لقائه الأول كانت 49 وردة، وهديته الثانية لها من الورد كانت كانت تضم 99 وردة، حتى عندما أهدى مايا ورد عندما شفيت أهداها 49 وردة يبدو أن هناك لوحة محذوفة سيتمها بعد عودة الوطن لأهله تقول رلا (عشت حياتي والبسمة لم تفارق شفتي إلا أن جرحا نازفا في أحشائي لن يلتئم إلا بعودة أرضي لست أنا فقط من ينزف الأرض تتالم أيضا) ص 148 (15- عروس الليل، 16- الحب الخالد، 17- الفرحة الكبرى، 18- على بونتي فيكيو، 19- انكسار الجرة، 20- عائدة إلى أثينا).

تناول سيمياء عنوان هذه اللوحات لوحدها يكفي القارئ عناء قراءة العمل بأكمله، إذ تعد بمثابة تلخيص له في أغلب الأحيان.

كما يلفت النظر التقنيات السردية للرواية عبر، مونولوجاتها التي تناثرت في متن الرواية من بدايتها حتى نهايتها فلم يغيب عن بال لقمان قول سامي لإيليني (منذ القبلية الأولى صرت قبلي الأولى) (طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، ص 26)، وتساءله هل يعقل أن يتذكر الآن القبلية الأولى إنه لم يشاهدها قط ولم يتوجه نحوها، من أين جاء بفكرة الحب المقتن بالقبلية الأولى؟ (المصدر نفسه، ص 26). تأتي الفكاهة في أغلب الأحيان ممزوجة بالقهر والألم الذي ينبع من تلايف الدماغ ممزوجة بالسخرية من واقع لا يرفع نهايته وما سيؤول إليه.

استخدام الروائي لضمير المتكلم في بعض لوحاته يعطي إيهاام بواقعية الحدث وصدقه تشعر أنك أمام عمل حقيقي يسلط الضوء على مكونات الإنسان يقول الحاج محمود للقمان "سجل بعد أن استأذنه في تسجيل كلامه" سجل إسا ما في أشي أخاف منه ولا أخاف عليه. بعد ما ضاعت البلاد بطلت أخاف" (المصدر نفسه ص 134) "أبي ما بدو إياي أكمل تعليمي، ولولا طلعنا لاجئين لبره البلاد كان أنا ما كملت، يعني سقوط البلاد إجا في صالحك؟ خاف الله يا زلة إسا لو يموت أنا وأولادي وأحفادي وترجع البلاد بكون مبسوط" (طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، ص 137).

فالفكاهة هي الكتابة الكاشفة، وقد صارت مدونة للنقد الاجتماعي والسياسي، وهو نقد يتزيا بزي استنطق طهوب في روايته الوطن إنسانه وبحره وسماءه ونباته وحيوانه دون أن يخبو عنصر التشويق تمتلك الرواية من بدايتها لنهايتها تفرحك وتبكيك تثير كل مشاعرك الإنسانية نستطيع أن نصفها في جانب منها استعراض إلهي في مخلوقاته.

الفكاهة والدعابة ليتقبل في مجتمع محافظ لا يتسامح كثيرا (انظر أبو نضال، نزيه، الساخرون، ص 9).

الخاتمة

إن الفكاهة كما ترى الدراسة، شكّلت حالة متكاملة من التواشج الفني والدلالي، منحت العمل الروائي وحدته الفنيّة، وساهمت في تحقيق وحدته الموضوعيّة. ولعل ذلك تناسب طردياً مع قدرة الروائي على توظيف الفكاهة مع عناصر الرواية، وإقامة العلاقات المتوازية بينها، بناء على الرؤيا والإحساس بوجودها خارج العمل الروائي، أو ما يمكن أن يسمّى الواقع. ومن هنا تكون حالة التفاوت التي يحسّها الناقد بين آثار عناصر الفكاهة والمكان والزمان والشخصيّة وغيرها من العناصر، في بنية العمل الروائي، هي حالة دلاليّة، تتشكّل من خلال رؤيا الكاتب، لوظيفة هذا العنصر، أو غيره من العناصر في بناء العمل.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- إبراهيم، زكريا، سيكولوجيا الفكاهة والضحك، مكتبة مصر، القاهرة، 1980م.
- 2- أبو نضال، الساخرون، دار أزمنة، الأردن، 2013م.
- 3- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت (د.ت).
- 4- حسين، محمد محمد، الهجاء والمهاوون في الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م.
- 5- الحصري القيرواني، أبي اسحق، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق محمد العازي، دار المكتبة العلمية، بيروت، 1971.
- 6- الخطيب، بشرى محمد علي، السخرية والتهكم في الشعر الأموي، مجلة الأستاذ، العدد (44)، تصدر عن كلية التربية والعلم، ابن رشد، جامعة بغداد، سنة 2002م.
- 7- شرف، عبد العزيز، أدبيات الأدب الفكاهي، مكتبة لبنان، بيروت، 1992م.
- 8- طه، نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي، حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية، القاهرة، 1978م.
- 9- طهوب، عامر، عائدة إلى أثينا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2020م.
- 10- غراب، سعيد أحمد، السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2009م.
- 11- فريجة، أنيس، الفكاهة عند العرب، مكتبة بيروت، ط1، 1962م.
- 12- كيوان، عبد العاطي، الفكاهة والسخرية عند حافظ إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1997م.
- 13- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، دار الدعوة، 1960م.
- 14- معلوف، لويس، المنجد في اللغة، منشورات، دار الشروق، 1992م.
- 15- محمد، سراج الدين، النوادر والطرائف والفكاهة في الشعر العربي، ج6، موسوعة مبدعون، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- 16- النويهي، محمد، ثقافة الناقد الأدبي، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969م.
- 17- الهوال، حامد، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م.